المبحث الثاني

مخارج الصوت اللغويِّ وخصائصه وصفاته وتطوُّره

لا بدَّ لأيِّ صوت لغويٍّ من عنصرين مهمَّين هما بمثابة الروح والجسد له، وهما: مخرجه، وصفاته، ومن غير المخرج والصفات لا يكون الصوت اللغويّ، وبهما يمتاز الصوت عن غيره من الأصوات، وهذا يتمثَّل في عوامل عدَّة منها:

١- اختلاف نقطة التحكم في مجرى الهواء بسبب اختلاف الأجرام التي يقع عندها وبها الحبس والإطلاق، فإنَّها ربما كانت ألين، وربَّما كانت أصلب، وربَّما كانت أيبس، وربَّما كانت أرطب.. وقد يكون الحابس أصغر وأعظم، والمحبوس أكثر وأقلّ، والمخرج أضيق وأوسع، ومستدير الشكل، ومستعرض الشكل مع دقة، والحبس أشد وألين، والضغط بعد الإطلاق أحفز وأسلس..[١].

٢- اختلاف حال التموج فالتموج يفعل الصوت، وأمَّا حاله في نفسه من اتِّصال أجزائه وتماسها، أو تشظِّيها بها فيفعل الحدَّة والثقل، أمَّا الحدَّة فيفعلها الأولان، وأمَّا الثقل فيفعله الثانيان [٢]، ويفسر الدكتور إبراهيم أنيس الحدَّة والثقل بأحد تفسيرين:

أولهما وأرجحهما: أن ابن سينا هنا يشير إلى درجة الصوت؛ لأنَّ طول الموجة مع الصوت الحادِّ أقلُّ منه مع الصوت الثقيل، فأجزاء الموجه في الصوت الحادّ متقاربة متماسكة، على حين أنَّ أجزاءها مع الصوت الثقيل متباعدة.

---

(١) ينظر: أسباب حدوث الحروف- الفصل الثاني.

(٢) ينظر: المصدر نفسه.

المطلب الأوَّل: مخارج الأصوات وألقابها وخصائصها:

تناول العرب المسلمون الأصوات بدراسة مستفيضة ومعمَّقة ومميزة، لم تحظ بها أصوات أمم أخرى، ومن دراساتهم هذه ما خصُّوا به مخارج الأصوات من شرح تفصيليٍّ، فصنفَّوا الأصوات بحسب المكان الذي يتمُّ فيه التحكم في الهواء الخارج من الرئتين، وهي مبيَّنة فيما يأتي:

المخارج: جمع مَخْرَج على وزن مَفْعَل، بفتح الميم وسكون الخاء وفتح الراء.

والمخرج لغةً: محلُّ الخروج.

واصطلاحاً: اسم لموضع خروج الحرف وتمييزه عن غيره، كمَدْخَل اسم لموضع الدُّخول، ومَرْقَد اسم لموضع الرُّقود[1].

وكانت المخارج نوعين: عامَّة، ومخارج خاصَّة:

❖ المخارج العامة:

هي المشتملة على مخرج فأكثر وتنحصر في خمسة:

١- الجوف. ٢- الحلق. ٣- اللسان. ٤- الشَّفتان. ٥- الخَيشُوم.

❖ المخارج الخاصَّة:

هي المحددة التي لا تشتمل إلا على مخرج واحد، وقد اختلف فيها العلماء، فمنهم من عدَّها سبعة عشر مخرجاً منحصرة في خمسة مخارج عامة كما سبق، وهو مذهب الخليل بن أحمد، واختاره الإمام ابن الجزري فجعل للجوف مخرجاً واحداً، وللحلق ثلاثة، وللسان عشرة، وللشفتين اثنين، وللخيشوم واحداً.

---

(١) ينظر: غاية المريد في علم التجويد: ١٢٤.

ومنهم من عدَّها ستة عشر مخرجاً منحصرة في أربعة مخارج عامة، وذلك بأن أَسْقَطَ مخرج الجوف، وفرَّق حروفه فجعل مخرج الألف من أقصى الحلق كالهمزة، ومخرج الياء المدِّيَّة كغير المدية من وسط اللسان، ومخرج الواو المدية كغير المدِّيَّة من الشفتين، وهذا مذهب سيبويه ومن تَبِعه، واختاره الإمام الشاطبي، ومنهم من عدَّها أربعة عشر مخرجاً بأن أسقط مخرج الجوف ووزَّع حروفه كالمذهب السابق، ثم جعل مخرج اللام والنون والراء مخرجاً واحدًا وهو طَرَفُ اللسان وهذا مذهب الفَرَّاء وأصحابه[1].

وفيما يأتي بيانها مفصَّلة[2]:

١- **الجوف**: وهو المخرج الأوَّل من المخارج العامَّة: ويخرج منه ثلاثة أصوات وهي حروف المدّ وهي: الألف نحو: «قَالَ» والواو المدِّيَّة نحو: «يَقُولُ»، والياء المدية نحو: «قِيلَ»، وتسمَّى هذه الأصوات جوفيَّة؛ لأنَّها من الجوف، وتسمى مدِّيَّة؛ لامتداد الصوت في يُسْر عند النطق بها، وهي الصوائت الطويلة، وتسمَّى كذلك هوائيَّة؛ لأنَّها تنتهي بانقطاع هواء الفم؛ لأنَّها لا أحياز لها كسائر الحروف التي لها أحياز، وإنَّما تخرج من هواء الجوف فسميَّت مرة جوفا ومرة هوائية وسمِّيت ضعيفة لانتقالها من حال إلى حال عند التصرف باعتلال[3]، وتسمَّى أيضاً حروف عِلَّة لتأوُّه العليل -أي المريض- بها، وبيَّن ابن جني، حالة النطق بها وهيئة مخرجها فقال: «إن الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصـــوت الذي يجري

(١) ينظر: غاية المريد في علم التجويد: ١٢٦ – ١٢٧.

(٢) ينظر في تفصيل مخارج الأصوات العربيَّة: غاية المريد في علم التجويد: ١٢٦-١٣٠.

(٣) ينظر: العين: ٦٤/١، ولسان العرب: ٣.

في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنك تجد الفم والحلق معها منفتحين غير معترضين على الصوت بضغط أو حصر، وأما الياء فتجد معها الأضراس سفلا وعلوا قد اكتنفت جنبتي اللسان، وضغطته، وتفاج الحنك عن ظهر اللسان فجرى الصوت متصعدا هناك، فلأجل تلك الفجوة ما استطال، وأمَّا الواو فتضم لها معظم الشفتين، وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس، ويتصل الصوت فلما اختلفت أشكال الحلق والفم، والشفتين مع هذه الأحرف اختلف الصدى المنبعث من الصدر، وذلك قولك في الألف "**ءَا**" وفي الياء "**إِي**" وفي الواو "**أُو**"»[1]، كما أنَّه أوضحها بأنَّه إذا اتَّسع مخرج الحرف حتى لا يقتطع الصوت عن امتداده واستطالته استمر الصوت ممتدا حتى ينفذ، فيفضي حسيرا إلى مخرج الهمزة، فينقطع بالضرورة عندها، إذ لم يجد منقطعا فيما فوقها. والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة الألف ثم الياء ثم الواو[2]، وتشبه عمليَّة النطق بهذه الأصوات عمليَّة التصويت بالناي: «فإنَّ الصوت يخرج فيه مستطيلاً أملس ساذجاً، كما يجري الصوت في الألف غفلا بغير صنعة. فإذا وضع الزامر أنامله على خروق الناي المنسوقة وراوح بين أنامله، اختلفت الأصوات وسُمِعَ لكل خرق منها صوت لا يشبه صاحبه. فكذلك إذا قطع الصوت في الحلق والفم باعتماد على جهات مختلفة، كان سبب استماعنا هذه الأصوات المختلفة»[3]، فأمَّا الواو الصائتة

(١) سر صناعة الإعراب: ٦/١، وينظر منه: ٦٥/١.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٥٠/١.

(٣) العربية، معناها ومبناها: ٥٣.

وأختها الضمَّة فإنَّ مخرجها مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى فوق، وأمَّا الياء الصائتة وأختها الكسرة فإنَّ مخرجهما مع إطلاق الهواء مع أدنى تضييق للمخرج وميل به سلس إلى أسفل، وأخيراً الألف الصائتة فإنَّ مخرجهما مع إطلاق الهواء سلسا غير متزاحم[1]، على أنَّه قد يمكن الفصل بين الياء والواو وبين الألف بأنَّها لا بدَّ من أن تكون تابعة وأنَّهما قد لا تتبعان ما قبلهما[2].

٢- **الحلق** وهو المخرج الثاني منَ المخارجِ العامَّةِ: وفيه ثلاثة مخارج تخرج منها ستَّة أصوات وهي:

أ- أقصى الحلق: أي أبعده مما يلي الصدر ويخرج منه: صوتي الهمزة فالهاء، فأمَّا الهمزة: فيحدث عن حفز قوي من الحجاب وعضل الصدر لهواء كثير، ومن مقاومة الطرجهالي الحاصر زماناً قليلاً لحفز الهواء ثم اندفاعه إلى الانقلاع بالعضلة الفاتحة وضغط الهواء معاً له، ثمَّ يليه الهاء.

ب- وسط الحلق: وهو ما بين أقصاه وأدناه ويخرج منه صوتي: العين والحاء، ويخالف صوت الحاء العين في هيئة المخرج وفي المحبس وفي القوة وفي جهة مخلص الهواء، فإنَّ الفرجة بين الغضروفين السافلين تكون عند النطق بالحاء أضيق، والهواء يندفع أميل إلى قدَّام، ويصدم حافَّة التقعير الذي كان يصدمه هواء العين عند الخروج، وتلك الحافَّة صلبة والدفع فيها أشدُّ فيقسر الرطوبة ويميلها إلى قدام.

ت- أدنى الحلق: أي أقربه مما يلي الفم ويخرج منه صوتي: الغين والخاء، فالغين: يحدث باهتزاز الرطوبة لكنَّها أكثر منها في صوت الخاء.

---

(١) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة: ١٠٨-١٠٩.

(٢) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/٥٩.

٣- **اللسان:** وهو المخرجُ الثالثُ من المخارجِ العامَّةِ، وفيه عشرة مخارج تخرج منها ثمانية عشرة حرفاً وهي:

أ- أقصى اللسان من فوق -أي: أبعده مما يلي الحلق- مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى ويخرج منه: القاف.

ب- أقصى اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه: الكاف، إلا أنَّ مخرجها أسفل من مخرج القاف، قريب من وسط اللسان.

وربَّ سائل يسأل: لِمَ جعل أقصى اللسان مخرجين لحرفين، ولم يجعل مخرجاً واحداً كأقصى الحلق؟

ويجاب: بأنَّ هناك فرقاً بين أقصى اللسان، وأقصى الحلق، وذلك لأنَّ أقصى اللسان فيه طُولٌ، وبين موضعي القاف والكاف بُعْد؛ ولذا اعتبر كل من الموضعين مخرجاً خاصّاً لحرف خاص، بخلاف أقصى الحلق ففيه قِصَر، وبين موضعي الهمزة والهاء قُرب شديد ولذا اعتبر أقصى الحلق مخرجاً واحداً لصوتين.

ت- وسط اللسان مع ما يحاذيه من الحنك الأعلى، ويخرج منه: الجيم فالشين فالياء غيرُ المدِّيَّة، وهي الياء "الصامتة"، و«تحدث حيث السين والزاي، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا يبلغ أن يحدث صفيراً»[1].

ث- إحدى حافتي اللسان مما يلي الأضراس العليا اليسرى أو اليمنى، ويخرج منه الضاد، وخروجه من اليسرى أسهل وأكثر استعمالاً، ومن اليمنى أصعب وأقل استعمالاً، ومن الجانبين معاً أعز وأعسر، وبالجملة فالضاد أصعب الحروف وأشدها على اللسان، ولا توجد في لغة غير العربية؛ ولذلك تسمَّى لغة الضاد.

---

(١) كتاب الموسيقى الكبير: ١٠٧٢.

ج- أدنى حافة اللسان إلى منتهاها مع ما يحاذيها من اللَّثَة العليا ويخرج منه: اللام، ويكون هذا الصوت بحبس من طرف اللسان رطب غير قويٍّ جدّاً، ثمَّ قلع إلى قدام قليلاً، والاعتماد على الجزء المتأخِّر من اللسان المماس لما فوقه أكثر من الاعتماد على طرف اللسان، وليس الحفز للهواء بقوي. ولو كان الحفز والشد قويّاً خرج حرف كالطاء، وإن كان طرف اللسان متعرضاً للموضع الذي يمسه في اللام من غير مس صادق، ولا التصاق رطوبة، ثم عرض حافتاه بالعضلتين المطولتين تعريضاً أقوى من تعريض الطرف نفسه، وحمل عليه الهواء حتى نفضه وأرعده كما يفعل الريح بكلِّ لين متعرض له متعلِّق، من طرف منه بشيء ثابت حدث منه حرف الراء، وسمع التكرير الذي فيه للارتعاد قدماً.

ح- طرف اللسان تحت مخرج اللام قليلاً مع ما يليه من لَثَة الأسنان العليا ويخرج منه: النون المظهرة والمتحركة، وقيدنا النون بالمظهرة؛ لأن النون المخفاة عبارة عن غنّة مخرجها الخيشوم، وهي من الحروف الفرعية.

خ- طرف اللسان قريب إلى ظهره قليلاً بعد مخرج النون، ويخرج منه الراء والمراد من ظهر اللسان: ظهره مما يلي رأسه، وظهره أي صفحته التي تلي الحنك الأعلى.

د- طرف اللسان مع ما بين الثنايا العليا والسفلى، قريب إلى أطراف الثنايا السفلى غير أنه يوجد انفراج قليل بينهما، ويخرج منه أصوات الصاد والسين والزاي، فيكون صوت الزاي قريباً من الموضع الذي يخرج منه صوتي السين والصاد، ولكن يكون طرف اللسان فيها أخفض، وما بعده أرفع وأقرب من سطح الحنك كالمماس بالعرض أجزاء دون أجزاء، ولكنَّها أقلُّ

أخذاً في الطول مما يأخذه المقرب من سطح الشَّجْر والحنك في السين، والغرض من ذلك أن يحدث هناك اهتزاز على سطح اللسان وسطح الحنك ليجتمع ذلك الاهتزاز مع الصفير. وأمَّا في سائر الأشياء فهو كالسين، ويكاد للاهتزاز الذي يقع في الزاي أن يكون تكريراً كالتكرير الواقع في الراء

ذ- ظهر طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا ويخرج منه: الطاء والدال والتاء.

ر- ظهر طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا، ويخرج منه: الظاء والذال والثاء، فأمَّا صوت الثاء: يكون باعتماد الهواء عند موضع التاء بلا حبس وتحبس عند طرف الأسنان ليصير الخلل أضيق؛ فيكون صفير قليل مع القلع، وكأنَّ الثاء سين تُلوفِيَت بحبس فرج مسلك هوائها الصفار، وأمَّا صوت الذال فيخرج من مخرج صوت الثاء لكنَّ يفارقه في الاهتزاز.

٤- **الشَّفتان**: وهو المخرجُ الرابعُ من المخارجِ العامَّةِ: وفيهما مخرجان:

أ- بطن الشَّفة السفلى مع أطراف الثنايا العليا ويخرج منه حرف: الفاء.

ب- ما بين الشفتين معاً ويخرج منه ثلاثة أصوات وهي: الباء والميم والواو، مع انطباق عند الباء والميم وانفراج قليل عند الواو المدِّيَّة، ويكون صوت الميم بحبس فيها تامٍّ وبأجرام من الشفة أيبس وأخرج، وليس تسريب الهواء مع القلع إلى خارج الفم كلِّه، بل يصرف بعضه بحفز قوي إلى التجويف الذي في آخر المنخر ليدور فيه ويفعل دويّاً، ثم يطلقان معاً، وتحدث الواو الصامتة «حيث تحدث الفاء، ولكن بضغط وحفز للهواء ضعيف لا ينافس في انضغاطه سطح لشفة، ثم يتم هيئته بقلع أيضاً للمقدار المنطبق من الشفة في الفاء»[1].

(١) كتاب الموسيقى الكبير: ١٠٧٥.

٥- **الخيشوم**: وهو المخرجُ الخامسُ من المخارجِ العامَّةِ: والخيشوم هو أقصى الأنف من الداخل، أي: التجويف الذي يربط الأنف بالفم، وفيه مخرج واحد تخرج منه: الغنة، وممَّا تجدر الإشارة إليه أنَّ الأصل في الغنَّة أنَّها ليست صويتا، أي: لا أثر لها في المعنى، بل هي نغمة.

❖ ألقاب الأصوات:

اصطلح علماء العربيَّة أن يقسِّموا الأصوات العربيَّة إلى عشرة أقسام يطلقون على كلِّ قسم منها لقباً مستقىً من مخرجها وفيما يأتي بيان ذلك:

١- الحروف الحَلْقِيَّة: وهي ستة الهمزة والهاء والعين والحاء والغين والخاء، وسميت بذلك لخروجها من الحلق.

٢- الحروف اللَّهَوِية: وهما حرفان: القاف والكاف، ولقبا بذلك؛ لخروجهما من قرب اللَّهَاة؛ وهي اللَّحْمَة المدلَّاة في أقصى سقف الحلق.

٣- الحروف الشَّجَرِيَّة: وهي ثلاثة الجيم والشين والياء، ولقبت بذلك لخروجها من شَجَر الفم أي منفتح ما بين اللحيين، هذا ما قاله أكثر علماء التجويد، وقد ذكر صاحب لآلئ البيان أن حرف الضاد يلقب أيضاً بأنه من الحروف الشَّجرية، وبذلك تكون الحروف الشجرية أربعة.

٤- الحروف الأسَلِيَّة: وهي ثلاثة الصاد والزاي والسين، ولقبت بذلك لخروجها من أسلة اللسان أي من طرفه.

٥- الحروف النّطَعية: وهي ثلاثة الطاء والدال والتاء، ولقبت بذلك لخروجها من قرب نطع الفم أي من غاره؛ وهو الجزء الأمامي من الحنك الأعلى.

٦- الحروف اللَّثَوِيَّة: وهي ثلاثة الظاء والذال والثاء، ولقبت بذلك لقرب مخرجها من اللثة؛ وهي اللحم الذي ينبت فيه الأسنان.

٧- الحروف الذَّلَقِيَّة: وهي ثلاثة اللام والراء والنون، ولقبت بذلك لخروجها من ذَلَق اللسان أي طرفه.

٨- الحروف الشَّفَهِيَّة: وهي أربعة الفاء والواو والباء والميم، ولقبت بذلك لخروج الفاء من بطن الشفة السفلى، وخروج الباقي من الشفتين معاً.

٩- الحروف الجوفية: وهي حروف المدّ الثلاثة، ولقبت بذلك لخروجها من الجوف، وتسمَّى كذلك الحروف الهوائية، وسمِّيت بذلك؛ لأنَّ خروجها ينتهي بانقطاع هواء الفم، الأصوات وتسمى مدِّيَّة؛ لامتداد الصوت في يُسْر عند النطق بها، وهي الصوائت الطويلة، وتسمَّى كذلك هوائيَّة؛ لأنَّها تنتهي بانقطاع هواء الفم؛ لأنَّها لا أحياز لها كسائر الحروف التي لها أحياز، وإنَّما تخرج من هواء الجوف فسميَّت مرة جوفا ومرة هوائية وسمِّيت ضعيفة لانتقالها من حال إلى حال عند التصرف باعتلال[1]، وتسمَّى أيضاً حروف عِلَّة لتأوُّه العليل -أي المريض- بها.

❖ خصائص الأصوات العربيَّة:

لا شكّ أنّ كلّ اللغات الطبيعيّة قائمة على محمل صوتيّ، بمعنى أنّ اللّغة أصوات، أو هي حسب بعض التعريفات اللّسانيّة الحديثة صوت ومعنى (النحو التوليدي). والأصوات اللّغوية هي حدث فيزيائيّ محسوس قابل للقياس مثل أيّ صوت آخر موجود في الطبيعة. وكلّ صوت من أصوات اللّغة تتجلّى قيمته باعتباره صوتاً متميّزاً أو غير متميّز، وتميّزه يظهر في مقابلته لأصوات أخرى، وذلك من نحو أنّ التاء والطاء في العربيّة صوتان متمايزان (مثل قولنا "تين" و"طين") في الوقت الذي يكونان فيه في أغلب اللغات الأعجميَّة

(١) ينظر: العين: ٦٤/١، ولسان العرب: ٣.

تنويعين صوتيين لا غير، وغير ذلك من الظواهر الخاصَّة بالصوت العربيّ وفيما يأتي أهمُّ هذه الخصائص.

١- من خواص الأصوات العربية أنَّ قيمها الصوتيَّة يعبَّر عنها دائما بصدر أسمائها، فالاسم "كاف" مثلا يعبِّر صدره وهو "ك" عن الصوت "ك"، وكذلك الاسم "ألف" يعبِّر صدره صوتيّاً عمّا سمِّي أخيرا الهمزة، وفي هذا المعنى يقول ابن جني: «إن كل حرف سميته ففي أول حروف تسميته لفظه بعينه. ألا ترى أنك إذا قلت: جيم فأول حروف الحرف "جيم". وإذا قلت: دال فأول حروف الحرف "دال" وإذا قلت: حاء فأول ما لفظت به "حاء"، وكذلك إذا قلت: ألف، فأول الحروف التي نطقت بها همزة»[(١)]، ويقول حفني ناصف: «للحروف العربية خواص لم تجتمع في غيرها من اللغات الأخرى. منها أن مسمياتها دائما في صدر أسمائها، فصدر كلمة ألف "ء" وصدر كلمة باء "ب" وصدر كلمة جيم "ج" وهكذا لآخر الحروف»[(٢)].

من خصائص الأصوات العربيَّة ائتلاف الحروف في نظام بناء الكلمة العربيَّة. وقد بيَّن ذلك الخليل رحمه الله أنَّ اللغات تختلف في ذلك، وما قد يتلاءم مع أمَّة ربَّما لا يتلاءم مع أمَّة أخرى، وذكر أيضاً أنَّ الأذن العربيَّة قد تستسيغ أصواتاً معيَّنة لا يستسيغها غيرها، وأنَّ اللسان العربيَّ قد ينطق بتركيب خاص لا ينطق به لسان غيره، وأنَّ العرب كانوا يأبون تأليفاً خاصّاً من الكلمات لا يأباه غيرهم، مثل إبائهم اجتماع واوين

---

(١) سر صناعة الإعراب: ١/٤٧.

(٢) تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية: ٢٨، وينظر: شرح المفصل: ١٠/١٢٦.

أول الكلمة، والابتداء بالساكن، واجتماع حرفين ساكنين[1].

٣- من خصائص الأصوات في العربيّة: التلاؤم الصوتي[2]: وهو نقيض التنافر، ويراد به: تعديل الحروف في التأليف، لأنَّ تأليف الكلام على ثلاثة أوجه: متنافر، ومتلائم في الطبقة الوسطى، ومتلائم في الطبقة العليا[3]، والغاية من التلاؤم هي تجانس الأصوات، ولما كانت أصوات القرآن متجانسة تماماً، فإنَّ القرآن كله متلائم في الطبقة العليا، وذلك بيّن لمن تأمله، والفرق بين القرآن وبين غيره من الكلام في تلاؤم الحروف على نحو الفرق بين المتنافر والمتلائم في الطبقة الوسطى، وبعض الناس أشد إحساساً بذلك وفطنة له من بعض[4]، لذلك فقد استبعد العرب جملة من الألفاظ لا تنسجم صوتياً في تداخل حروفها، وتنافر مخارجها، فمن غير الوارد اجتماع الأصوات المتقاربة جدّاً أو المتباعدة جدّاً، سواء في موضع النطق أو الصفات. والتلاؤم الصوتيُّ لا يتعلّق بطبيعة الحروف في حدّ ذاتها، وإنّما يتعلّق بالحركات أيضاً. وذلك من نحو الانتقال من الضمّة إلى الكسرة أو العكس، ومن نحو وجود أربع حركات لوازم في الكلمة الواحدة، أو من نحو التوافق بين الفتحة والحروف الحلقيّة وغيرها.

---

(١) العين: ١/١٢٣.

(٢) آثرنا مصطلح: التلاؤم الصوتيّ على مصطلح الموسيقى تأدُّباً مع القرآن الكريم لما للموسيقى من تشعُّب في المزامير وآلات اللهو، ولأنَّه مصطلح أعجميٌّ دخيل، ومصطلح التلاؤم الصوتيّ مصطلح عربيٌّ أصيل استعمله أسلافنا من العرب المسلمين. فيكون لنا فيه سلف. المؤلِّفان.

(٣) ينظر: النكت في إعجاز القرآن: ٩٤.

(٤) المصدر نفسه: ٩٥.

٤- من الخصائص الصوتيَّة في اللغة العربيَّة الانسجام الصوتي كما في إبدال السين صاداً في كلمة مثل السويق، وإبدال الصاد زاياً في بعض اللغات إذا كانت الصاد ساكنة وبعدها صوت مجهور مثل "يصدق" التي ينطقها بعضهم "يزدق". وعللا هذه الظاهرة بقولهما: «ليكون عمل اللسان من وجه واحد»، ويعنيان بذلك الاقتصاد في الجهد العضلي. وتلك نظرية يقرهما عليها علم اللغة الحديث، وممن نادى بها "أندريه مارتن" إذ صرح بأنَّ التغييرات الصوتيَّة الهامَّة في اللغة ترجع أساساً إلى الميل إلى استعمال الوسائل الصويتيَّة في اللغة اقتصاديّاً، وبطريقة سهلة بقدر الإمكان(١).

٥- تتميَّز بعض الأصوات بسمات خاصَّة، مثل اللام التي تتَّصف بالانحراف، والراء التي تتَّصف بأنَّها حرف مكرَّر(٢).

٦- تقسَّم الأصوات إلى صحيحة ومعتلَّة على أساس اتِّساع المخرج في أصوات العلة دون الأصوات الصحيحة.

٧- التمييز في أصوات العلة بين الفتحة والألف من ناحية، والكسرة والياء والضمة والواو من ناحية أخرى يقول ابن جني: «والحروف التي اتسعت مخارجها ثلاثة: الألف ثمَّ الياء ثمَّ الواو، وأوسعها وألينها الألف، إلا أنَّ الصوت الذي يجري في الألف مخالف للصوت الذي يجري في الياء والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والصوت الذي يجري في الياء مخالف للصوت الذي يجري في الألف والواو، والصوت الذي يجري في اليـــاء مخالف للصوت الذي

(١) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ١١٩.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/٨، ٧٠، ٧١، ٧٢.

يجري في الألف والواو، والعلة في ذلك أنَّك تجد الفم والحلق في الأحوال الثلاثة مختلف الأشكال: فالألف تجد الحلق والفم معها منفتحين، والياء تجد الأضراس معها سفلاً وعلواً قد اكتنفت جنبتي اللسان وضغطته، والواو تضمُّ لها معظم الشفتين وتدع بينهما بعض الانفراج ليخرج فيه النفس»[1]، ومعنى هذا أنَّ أصوات العلَّة في اللغة العربيَّة تقسَّم إلى قصيرة وطويلة وأطول يقول ابن جني: «اعلم أنَّ الحركات أبعاض حروف المدِّ واللين، وهي الألف والواو والياء، فكما أنَّ هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث، وهي الكسرة والفتحة والضمة، فالفتحة بعض الألف والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو، وقد كان متقدِّمو النحويِّين يسمُّون الفتحة الألف الصغيرة، والكسرة الياء الصغيرة، والضمَّة الواو الصغيرة، وقد كانوا في ذلك على طريق مستقيمة، ألا ترى أنَّ الألف والياء والواو اللواتي هنَّ توامُّ كواملُ قد تجدهنَّ في بعض الأحيان أطول وأتمَّ منهنَّ في بعض، وذلك قولك: يخاف وينام ويسير ويطير ويقوم ويسوم. فتجد فيهنَّ امتداداً واستطالة ما، فإذا أوقعت بعدهن الهمزة أو الحرف المدغم ازددن طولاً وامتداداً وذلك نحو يشاء.. وتقول مع الإدغام شابَّة ودابَّة»[2]، وهذا يعني أنَّهنَّ في حالات المدِّ لا يكنَّ صويتات، وإنَّما نغمات، وأمَّا الأصوات القصيرة: الفتحة والكسرة والضمَّة فهنَّ صويتات لما لهنَّ من أثر في المعنى وإن كانت اللغة العربيَّة خاصَّة والجزريَّة عامَّة تستغني عنهنَّ في الكتابة في أكثر الأحيان، وهذه الأصوات القصيرة في حالات الإشباع تتحوَّل في النطق لا في الكتابة إلى

(١) سر صناعة الإعراب: ١/٨، ٩.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/١٩، ٢٠.

صوت طويل كامل لكنَّه لا يكون صويتا، بل نغمة، فالضمَّة تتحوَّل إلى واو، والكسرة تتحوَّل إلى ياء كما في مدّي الصلة الصغرى والكبرى ومعنى الصوت الطويل هو أن يأخذ مدَّة زمنيَّة في جريان النفس عند نطقه كالمدَّة التي يأخذها أيّ صوت من الأصوات الصحيحة، أو الصوامت على تسمية بعضهم، والصوت القصير يتمُّ فيه قطع النفس في أقلّ من هذه المدَّة والانتقال إلى الأصوات الأخرى في النطق بمعنى أنَّ لا يأخذ المدَّة الزمنيَّة في جريان النفس التي يأخذها الأصوات الأخرى، بل أقلّ منها، لذلك سمِّيت حركات في الاصطلاحات اللغويَّة العربيَّة.

ممَّا تقدَّم من الخصائص الصوتيّة، وخصائص أخرى غيرها، تبرز قيمة اللّغة العربيّة من حيث النطق والكتابة، ومن حيث أبنية الكلمات حروفاً وأسماء وأفعالاً، والبناء النحويّ، أو التركيب الإسناديّ.

المطلب الثاني: صفات الأصوات[1] العربيَّة وتطوُّر الصوت اللغويِّ:

الصفات جمع صفة. وهي تعني في **اللغة**: ما قام بالشيء من المعاني كالعِلم والسواد والبياض، وليس المقصود الصفة بمعنى النعت كما أراده النحويون، أو ما يرجع إليها عن طريق المعنى نحو: شبه أو مثل، بل المقصود بالصفة المعاني الحسية أو المعنوية.

وأمَّا في **الاصطلاح** فتعني: هيئة ثابتة للحرف عند النطق به، مِنْ جهر واستعلاء وقلقلة ونحو ذلك.

والصفات تُعَدُّ بمثابة المعايير للحروف فتُمَيِّز بينها حتى يُعرف القويُّ من الضعيف وخاصَّة تلك التي تخرج من مخرج واحد كالطاء والتاء، فلولا

(١) ينظر في تفصيل ألقاب الأصوات وصفاتها كلّاً من: العميد في علم التجويد: ٧٤-٨٠، وغاية المريد في علم التجويد: ١٣٧.

الإطباق والقلقلة في الطاء لما استطعت أن تميِّز بينهما، وقد اختلف علماء التجويد في عدد الصفات: فذهب ابن الجزري ومن تبعه إلى أنها ثماني عشرة صفة، وعدَّها بعضهم عشرين، وزادها بعضهم حتى أوصلها إلى أربع وأربعين صفة إلى غير ذلك من الأقوال، وقد اخترنا المذهب المشهور وهو أن عدد الصفات عشرون صفة.

وتنقسم الصفات على قسمين:

١- **الصفات العَرَضِيَّة:** وهي الصفة التي تلحق الحرف أحياناً وتفارقه أحياناً أخرى كالتفخيم والترقيق.

٢- **الصفات الذاتيَّة:** وهي الصفات الملازمة للصوت فلا تفارقه أبداً كالقلقلة والشِّدة، وهي تنقسم على صنفين:

أ - صنف له ضدَّ: وعدد صفاته إحدى عشرة صفة وهي: الجهر ضده الهمس، والرِّخاوة وضدها الشِّدة وبينهما صفة التَّوسط ويقال لها الْبَينِيَّة أيضاً، والاستفال وضده الاستعلاء، والانفتاح وضده الإطباق، والإصمات وضده الإذلاق، ولا بدَّ لكلِّ صوت من أصوات حروف الهجاء أن يأخذ منها خمس صفات.

ب- صنف لا ضدَّ له: وعدد صفاته تسع وهي: الصفير، القلقلة، اللِّين، الانحراف، التَّكرير، التَّفَشِّي، الاستطالة، الخفاء، الغُنَّة، وفيما يأتي بيان هذه الصفات تفصيلا:

❖ أولاً: الصفات التي لها ضدّ

١- **الهمس:** ويعني في **اللغة:** الخفاء. وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: جريان النَّفَس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على مخرجه وحروف صفة الهمس

عشرة، جمعها الإمام ابن الجزري في قوله: فحثَّه شخصٌ سَكَت، وهي الفاء، والحاء، والثاء، والهاء، والشين، والخاء، والصاد، والسين، والكاف، والتاء.

وبعض هذه الحروف أقوى من بعض في الهمس، فأعلاها الصاد؛ لما فيها من استعلاء وإطباق وصفير وكلها من صفات القوة، ويليها الخاء؛ لأن فيها استعلاء ويلي الخاء الكاف والتاء؛ لما فيهما من الشدة وهي من صفات القوة أيضاً، وأضعف هذه الحروف هي الهاء والفاء والحاء والثاء إذا ليس فيها صفة قوة مطلقاً.

وتظهر الصفة حالة النطق بالحرف إذا كان ساكناً أو مشدداً بصفة خاصة، وكذا إذا كان متحركاً، أما حروف المد فحسب شروطها.

٢- **الجهر**: وهو ضد الهمس: وهو يعني في **اللغة**: الظهور والإعلان. وأمَّا في **الاصطلاح** فهو يعني: انحباس جري النفس عند النطق بالحرف؛ لقوة الاعتماد على مخرجه.

وحروفُهُ: الهمزة، والباء، والجيم، والدال، والذال، والراء، والزاي، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والقاف، واللام، والميم، والنون، والواو، والياء، والألف، والواو المدِّيَّة، والياء المدية، وبعض هذه الحروف أقوى من بعض في الجهر، وذلك على قدر ما في الحرف من صفات القوة فالطاء أقوى من الدال وإن اشتركتا في صفة الجهر إلا أنَّ الطاء تنفرد بالإطباق والاستعلاء وهكذا.

والسبب في حدوث الهمس والجهر هو الرنين الذي يصحب نطق بعض الأصوات، وتقسَّم الأصوات من حيث وجوده أو عدم وجوده إلى مجهورة ومهموسة[1].

---

(١) ينظر: سر صناعة الإعراب: ٦٨/١، ٦٩.

وقد ذكر أبو الحسن الأخفش أنَّه سأله سيبويه عن الفرق بين المهموس والمجهور فقال له: «المهموس إذا أخفيته ثم كررته أمكنك ذلك، وأما المجهور فلا يمكنك فيه. ثم كرر سيبويه التاء بلسانه وأخفى فقال: ألا ترى كيف يمكن؟ وكرر الطاء والدال وهما من مخرج التاء فلم يمكن. قال: وإنما فرق بين المجهور والمهموس أنك لا تصل إلى تبين المجهور إلا أن تدخله الصوت الذي يخرج من الصدر. فالمجهورة كلها هكذا يخرج صوتهن من الصدر ويجري في الحلق.. أما المهموسة فتخرج أصواتها من مخارجها.. والدليل على ذلك أنك إذا أخفيت همست بهذه الحروف ولا تصل إلى ذلك في المجهور...»[1]، وذكر الأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس أنَّ عبارة سيبويه هذه: «تتضمَّن آراء قيمة في الدراسة الصوتية تتفق مع أحدث النظريات الحديثة إلى حد كبير. فسيبويه يرشدنا هنا إلى وسيلة أخرى لتمييز المهموس من المجهور وذلك عن طريق إخفاء الصوت، وأنه يمكن هذا الإخفاء في المهموسات دون أن تفقد معالمها. أما الإخفاء في المجهورة فيترتَّب عليه أنَّ الحروف تضيع صفتها المميَّزة فلا نسمع حرف الدالِ دالاً حينئذ وإنَّما نسمع صوتاً آخر هو التاء... وكذلك يحدثنا سيبويه عمَّا يسمِّيه بصوت الصدر ويراه صفة مميِّزة للمجهور. ولعلَّ هذا الصوت هو صدى الذبذبات التي تحدث في الوترين الصوتيين بالحنجرة»[2].

وقد ميَّز سيبويه بين صفة الجهر وصفة الهمس تمييزاً دقيقاً فمصدر الصوت المجهور يشترك فيه الصدر والفم، ومصدر الصوت المهموس من الفم وحده، وبمعنى آخر أن للرئتين عملاً ما في صفة الجهر، بينما ينفرد الفم بصفة

(١) الأصوات اللغوية: ٨٩. نقلاً عن مخطوطة دار الكتب لشرح السيرافي لكتاب سيبويه.
(٢) الأصوات اللغوية: ٩٠. وينظر: البحث اللغوي عند العرب: ١١٧.

الهمس[1]، فتعريف الجهور عنده: «حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النفس أن يجري معه حتى ينقضي الاعتماد عليه، ويجري الصوت. بينما المهموس: حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه»[2].

٣- **الشِّدة**: وهي تعني في **اللغة**: القوة، وأمَّا في **الاصطلاح** فتعني: انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف؛ لكمال قوة الاعتماد على مخرجه.

وحروف الشدة ثمانية جمعها الإمام ابن الجزري في قوله: أَجِدُ قَطٍ بَكَتْ، وهي: الهمزة، الجيم، والدال، والقاف، والطاء، والباء، والكاف، والتاء، وقد جمعت في عبارة: "أَجِدُ قَط بَكَتْ".

وهذه الحروف مختلفة أيضاً في القوة فإنْ كان مع الشدة جهر وإطباق فذلك غاية القوة كالطاء.

وتكون الشدَّة في الأصوات بالتحكُّم في مجرى الهواء فإنَّ له تأثيرا هامّاً في إنتاج الصوت، وذلك عند حبسه نقطة معيَّنة حبساً تامّاً، أو حبسا غير تامٍّ، فالحروف بعضها مفردة، وحدوثها عن حبسات تامَّة للصوت أو للهواء الفاعل للصوت يتبعها إطلاق دفعة[3]، وهذه الأصوات هي التي تكون شديدة؛ لأنّها تمنع الصوت من أن يجري فيه، والرخو هو الحرف الذي يجري فيه الصوت[4]، وبعضها مركَّبة وحدوثها عن حبسات غير تامة لكن مع إطلاقات[5]، ويكون

---

(١) ينظر: الكتاب: ٢/٢٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٤٠٥.

(٣) ينظر: أسباب حدوث الحروف- الفصل الثاني.

(٤) ينظر: سر صناعة الإعراب: ١/٦٩، ٧٠ وجمهرة اللغة: ١/٨، ودروس في علم أصوات اللغة، كانتينو: ٣٥، ٣٦.

(٥) ينظر: أسباب حدوث الحروف- الفصل الثاني.

الصوت في هذه الحالة رخواً.

وبقدر ما يوجد في الصوت من صفات قويَّة تكون قوَّته، وعلى قدر ما يوجد فيه من صفات الضعف يكون ضعفه.

٤- **التَّوَسُّط**: ويعني في **اللغة**: الاعتدال. وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: اعتدال الصوت عند النطق بالحرف.

وحروف التوسط خمسة، وهي: الراء والعين واللام والميم والنون، وقد جمعت في عبارة "ان عمر" ويسمِّيها بعضهم البَينِيَّة؛ وذلك لعدم كمال انحباس الصوت كانحباسه في حروف الشدَّة، وعدم كمال جريانه كما في حروف الرِّخاوة، بل حالة متوسطة بين كمال انحباس الصوت وكمال جريانه.

لكنَّ سيبويه عدَّ الميم والنون صوتان شديدان يجري معهما الصوت؛ لأنَّ ذلك الصوت غنَّة من الأنف، فإنما تخرجه من أنفك، وخالفه ابن جني والزمخشري وابن الجزري وغيرهم بأنَّهما ضمن الحروف المتوسطة، أي: بين الشديدة والرخوة.

٥- **الرِّخاوة**: وهي ضد الشدة والتوسط، وهي تعني في **اللغة**: اللِّين. وأمَّا في **الاصطلاح** فتعني: جريان الصوت عند النطق بالحرف؛ لضعف الاعتماد على مخرجه.

وحروفها: ثمانية عشر حرفاً الباقية بعد حروف الشدة والتوسط وهي: الثاء، والحاء، والخاء، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والظاء، والغين، والفاء، والهاء، والواو، والياء، والألف، والواو المدِّيَّة، والياء المدِّيَّة.

فالحروف الهجائية مقسَّمة بين هذه الصفات الثلاث فما كان من حروف: أَجِدُ قَط بَكَتْ، سمِّي شديداً، وما كان من حروف: لن عمر، سمي

متوسطاً أو بَينِيّاً، والعامل في ذلك هو طريقة حبس النفس الصوت عند نقطة معيَّنة كما تقدَّم في الأصوات الشديدة.

٦- **الاستعلاء**: وهو يعني في **اللغة**: العلو والارتفاع. وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: ارتفاع جزء كبير من اللسان عند النطق بأغلب حروفه إلى الحنك الأعلى.

وحروف صفة الاستعلاء سبعة، جمعها الإمام ابن الجزري في قوله: خُصَّ ضَغْط قَظْ، وهي الخاء، والصاد، والضاد، والغين، والطاء، والقاف، والظاء، وهذه الحروف السبعة هي التي تفخم قولا واحداً، وارتفاع معظم اللسان يكون عند النطق بالطاء، والصاد والضاد والظاء، ثم يكون أقل عند القاف، ثم يضعف عند الخاء والغين.

وقيل: سُمِّيَت مستعليةً؛ لخروج صوتها من جهة العلو وكل ما حل في عالٍ فهو مستعلٍ.

٧- **الاستفال**: وهو ضد الاستعلاء، ويعني في **اللغة**: الانخفاض. وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: انخفاض اللسان إلى قاع الفم عند النطق بأغلب حروفه.

وحروفُهُ: أربعة وعشرون حرفاً الباقية من أحرف الهجاء بعد حروف الاستعلاء وهي: الهمزة، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والدال، الذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين، والفاء، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، والياء، والألف، والواو المدية، والياء المدية.

وهذه الحروف حكمها الترقيق قولا واحداً إلا الألف واللام والراء فسيأتي الكلام عليها، وهي في حالة التفخيم تشبه الحروف المستعلية.

٨- **الإطباق**: وهو يعني في **اللغة**: الإلصاق، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: إطباق اللسان على الحنك الأعلى عند النطق بحروفه بحيث ينحصر الصوت بينهما.

وحروفُهُ: أربعة وهي الصاد، والضاد، والطاء، والظاء، تمتاز الأصوات المطبقة عن غيرها، بأنَّها أصوات مفخَّمة يشترك مؤخر اللسان في النطق بها[1]، فهذه الأصوات الأربعة تكون بوضع اللسان في محاذات الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف، وي إليه ابن جني بقوله: « والإطباق أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقاً له»[2]، إلا أنَّ هناك تفاوتاً بين حروفه، فالطاء أقواها درجة في الإطباق يليها الضاد فالصاد، أما الظاء فهي أضعفهم إطباقاً، ويفصِّل ذلك أكثر ابن سينا، فيقول عن الصاد: «ويحدث في اللسان كالتقعير حتى يكون لانقلاب الهواء كالدوي»[3].

ويتميَّز صوت الطاء الذي يتِّحد مخرجه بمخرج صوتي التاء والدال ويفارقهما بأنَّه يحبس في ذلك الموضع بجزء من طرف اللسان أعظم، وتقعر وسط اللسان خلف ذلك المحبس ليحدث هناك للهواء دوي عند الإخراج، ثم يقلع ويكون الحبس بشدٍّ قويٍّ، فيختلف صوت الطاء عن صوت التاء بأنَّ التاء يكون مثله في كلِّ شيء إلا أنَّ الحبس بطرف اللسان فقط.

٩- **الانفتاح**: وهو ضد الإطباق، ويعني في **اللغة**: الافتراق. وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: تجافي اللسان عن الحنك الأعلى ليخرج الريح عند النطق بأغلب حروفه.

وحروفُهُ: سبعة وعشرون حرفاً الباقية من حروف الهجاء بعد حروف

---

(١) ينظر: جمهرة اللغة: ١/٨.

(٢) سر صناعة الإعراب: ١/٧٠.

(٣) نقلا عن البحث اللغوي عند العرب: ١١١.

الإطباق وهي: الهمزة، والباء، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والدال، والذال، والراء، والزاي، والسين، والشين، والعين، والغين، والفاء، والقاف، والكاف، واللام، والميم، والنون، والهاء، والواو، والياء، والألف، والواو المدِّيَّة، والياء المدِّيَّة.

١٠- **الإذلاق**: وهو يعني في **اللغة**: حدَّة اللسان وبلاغته وطلاقته، وقيل: الطرف، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: خفَّة الحرف وسرعة النطق به؛ لخروجه من ذَلَقِ اللسان أي طرفه أو من طرف إحدى الشَّفتين أو منهما معاً.

وحروفُهُ: ستة جمعها ابن الجزري في قوله: فِرَّمِنْ لُبٍّ، وهي: الفاء، والراء، والميم، والنون، واللام، والباء، وسمِّيت مذلقة؛ لخروج بعضها من ذلق اللسان وهي: الراء، والنون، واللام، وبعضها من ذلق الشَّفَة وهي: الباء، والفاء، والميم.

١١- **الإصمات**: وهو ضد الإذلاق، وهو يعني في **اللغة**: المنع تقول: صَمَتَ عن الكلام أي منع نفسه منه، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: ثقل الحرف وعدم سرعة النطق به؛ لخروجه بعيداً عن ذَلَقَ اللسان والشَّفَة، وهذا التعريف يتعارض مع الواو؛ لخروجها من الشفتين ولكنها وصفت بالإصمات؛ لأنَّ فيها بعض الثقل حيث تخرج من الشفتين مع انفراج بينهما بعكس الفاء والباء والميم فهي أخف الحروف وأسهلها.

وحروفُ الإصماتِ: خمسة وعشرون حرفاً الباقية من حروف الهجاء بعد حروف الإذلاق وهي:

الهمزة، والتاء، والثاء، والجيم، والحاء، والخاء، والدال، والذال، والزاي، والسين، والشين، والصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والعين، والغين، والقاف، والكاف، والهاء، والواو، والياء، والألف، والواو المدية، والياء المدية.

وقيل: سميت هذه الحروف مُصْمَتة؛ لأنها ممنوعة من الانفراد أصولاً في الكلمات الرباعية والخماسية بمعنى أن كل كلمة على أربعة أحرف أو خمسة أصولاً لا بد أن يكون فيها مع الحروف المصمتة حرف من الحروف المذلقة، ولذلك قالوا: إن "عسجد" -اسم للذهب- أعجمي لكونه رباعيّاً وليس فيه حرف من الحروف المذلقة.

وبهذا تنتهي الصفات التي لها ضد، وقد تقدَّم التنبيه بأنّ كلّ صوت من أصوات حروف الهجاء لا بد أن يأخذ منها خمس صفات.

❖ ثانياً: الصفات التي لا ضد لها:

والصفات التي لا ضد لها عددها تسع، كما تقدم وفيما يلي بيانها مفصلة:

١- **الصفير**: وهو يعني في **اللغة**: صوت يشبه صوت الطائر، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: صوت زائد يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان عند النطق بأحد حروفه.

وحروفُ الصَّفيرِ: ثلاثة: الصاد، والزاي، والسين، فالصاد تشبه صوت الأَوَزِّ والزاي تشبه صوت النَّحل، والسين تشبه صوت الجراد، وأقواها الصاد؛ لما فيها من استعلاء وإطباق وصفير، ثم يليها الزاي لما فيها من جهر، ثم السين وهي أضعفها؛ لكونها مهموسة، والهمس الخفاء كما تقدم، وعلى هذا فينبغي لك أن تظهر صفير السين أكثر من الزاي، وتظهر الزاي أكثر من الصاد.

٢- **القلقلة**: وهي تعني في **اللغة**: الاضطراب، وأمَّا في **الاصطلاح** فتعني: اضطراب الصوت عند النطق بالحرف حتى يسمع له نبرة قوية.

وحروفُ القلقلةِ: خمسة جمعها الإمام ابن الجزري في قوله: قُطْبٌ جَدَّ، وتنقسم القلقلة بالنسبة لحروفها إلى ثلاثة أقسام:

أعلى وهو في الطاء، وأوسط وهو في الجيم، وأدنى وهو في الثلاثة الباقية.

ومراتبُهَا أربعةٌ: أقواها عند الساكن الموقوف عليه المشدد مثل: الحقّ، يليه الساكن الموقوف عليه غير المشدد مثل: خلاق، ثم يلي هذا الساكن الموصول مثل: خلقنا، وفي هذه المراتب الثلاث نجد أن القلقلة قد بلغت صفة الكمال، أما المرتبة الرابعة وهي في الْمُحَرَّك مثل: المتقِين، فلا يوجد فيه من القلقلة إلا أصلها فقط مثل: الغنة في النون والميم المظهرتين والمحركتين، فالثابت فيهما أصلها لا كمالها كما تقدم.

كيفيتُهَا: وأمَّا كيفية القلقلة فقد اختلف العلماء فيها، فقيل: إنها أقرب إلى الفتح مطلقاً، وهو الأرجح، وقيل: إنها تابعة لما قبلها، فإن كان ما قبلها مفتوحاً نحو: أقرب، كانت قريبة إلى الفتح، وإن كان ما قبلها مكسوراً نحو: اقْرأ، كانت قريبة إلى الكسر، وإن كان ما قبلها مضموماً نحو: اقتْلوا، كانت قريبة إلى الضم.

٣- **اللِّين**: وهو يعني في **اللغة**: السهولة، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: إخراج الحرف من مخرجه بسهولة وعدم كُلْفَة على اللسان.

وحرفَاهُ: اثنان وهما الواو والياء الساكنتان المفتوح ما قبلهما مثل: خَوْف، بَيْت.

٤- **الانحراف**: وهو يعني في **اللغة**: الميل والعدول، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: الميل بالحرف بعد خروجه من مخرجه عند النطق به حتى يتصل بمخرج آخر.

وحرفَاهُ: اثنان وهما اللام والراء، ووصفا بالانحراف؛ لأنهما انحرفا عن مخرجهما حتى اتصلا بمخرج غيرهما، فاللام فيها انحراف إلى طرف اللسان، والراء فيها انحراف أيضاً إلى ظهر اللسان وميل قليل إلى جهة اللام.

٥- **التكرير**: وهو يعني في **اللغة**: الإعادة، وأمَّا في **الاصطلاح** فهو يعني: ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف، وحرف التكرير هو الراء، ولَّما كان التقسيم الثنائي إلى شديد ورخو لم يشمل صوت الراء، اختصَّه اللغويون باسم "المكرر" -وإن عدَّوها نوعاً من الشديد- فإنَّ مصطلح -المركب- عند ابن سينا يمكن أن يشملها بسهولة؛ لأنَّ شرط التركيب في الصوت أن يمتدَّ في الزمان الذي يجتمع فيه الحبس مع الإطلاق، وهو ما ينطبق على الصوت المكرر: الراء، كما ينطبق على الأصوات الاحتكاكية[1].

والتكرير صفة ملازمة لحرف الراء بمعنى أنها قابلة لها فيجب التحرز عنها؛ لأنَّ الغرض من معرفة هذه الصفة تركها، بمعنى: عدم المبالغة فيها، وأكثر ما يظهر التكرير إذا كانت الراء مشددة نحو: كرة، مرة، فالواجب على القارئ أن يخفي هذا التكرير ولا يظهره لقول الإمام ابن الجزري: وأخفِ تكريراً إذا تشدد.

وليس معنى إخفاء التكرير إعدام ارتعاد رأس اللسان بالكلية؛ لأن ذلك يؤدي إلى حصر الصوت بين رأس اللسان واللَّثة كما في حرف الطاء وهذا خطأ لا يجوز، وإنما يرتعد رأس اللسان ارتعادة واحدة خفيفة حتى لا تنعدم الصفة.

وطريق الخلاص من هذا أن يلصق القارئ ظهر لسانه بأعلى حنكه بحيث لا يرتعد رأس اللسان كثيراً.

٦- **التفشي**: وهو يعني في **اللغة**: الانتشار، وقيل الاتساع، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: انتشار خروج الريح بين اللسان والحنك الأعلى عند النطق بالحرف. وحرف التفشي هو الشين.

---

(١) ينظر: البحث اللغوي عند العرب: ١٠٨.

وسمِّيت الشين متفشية؛ لانتشار الريح في الفم عند النطق بها حتى تتصل بمخرج الظاء.

٧- **الاستطالة**: وهي تعني في **اللغة**: الامتداد، وأمَّا في **الاصطلاح** فتعني: امتداد الصوت من أول إحدى حافتي اللسان إلى آخرها، وحرف الاستطالة: هو الضاد.

وسمِّيت الضاد مستطيلة؛ لاستطالة مخرجها حتى تتصل بمخرج اللام، والحرف المستطيل يمتد الصوت به ولكن لم يبلغ قدر الحرف الممدود، وذلك لأن المستطيل يجري في مخرجه، والممدود يجري في ذاته؛ حيث إن مخرجه مقدر.

والفرق بينهما أن الحرف المستطيل يجري الصوت في مخرجه بقدر طوله ولم يتجاوزه حيث إن الحرف لا يتجاوز مخرجه المحقق.

أما الحرف الممدود فليس له مخرج محقق، وإنما مخرجه مقدر كما عرفت، فيجري الصوت في ذاته، ولا ينقطع إلا بانقطاع الهواء.

٨- **الخفاء**: وهو يعني في **اللغة**: الاستتار، وأمَّا في **الاصطلاح** فيعني: خفاء صوت الحرف عند النطق به.

وحروف صفة الخفاء أربعة: حروف المد الثلاثة والهاء، ويجمعها كلمة: هاوي. فأمَّا خفاء حروف المدّ فلِسَعَة مخرجها، وأمَّا خفاء الهاء؛ فلأنّ صفاتها كلَّها ضعيفة ومن أجل هذا قويت بالصلة.

٩- **الغنَّة**: وهي تعني في **اللغة**: صوت له رنين في الخيشوم، وأمَّا في **الاصطلاح** فهي: صوت لذيذ مركب في جسم النون والميم في كل الأحوال، وحروفُ صفةِ الغنةِ: اثنان وهما الميم والنون.

❖ العربيَّة وتطور الصوت اللغوي:

تنتاب اللغات الحية تطورات صوتية، تنشأ عنها تغيرات أساسية في اللغات، فينجم عن ذلك تغيير ملحوظ بطبيعة الصيغ الكلامية، ويحدث تطوير في الوحدات التركيبية، وأهم من ذلك ما ينشأ من تغيير في الأصوات، وهو غالبا ما يكون نابعا عن تحولات المجتمعات البشرية من ساذجة إلى متطورة، أو من بدائية إلى متحضرة، وما يرافق هذا التحول من تحول بالعلاقات الاجتماعية، والمناخ القومي العام، مما ينطبع أثره على الظواهر الاجتماعية وأبرزها اللغة؛ لأنَّها أكبر ظواهره التواصليَّة والخطابية، فتتحول تدريجياً إلى لغة متطوِّرة في كثير من أبعادها المرتبطة بتطوُّر مجتمعها، إذ لا يمكن أن ينفصل التفكير في تحول مسار لغة ما عن التفكير في تحوّل مسار متكلمي تلك اللغة، فاللغة في تطورها جزء لا يتجزأ من المحيط في تطوره، وليس بالضرورة التطور إلى الأفضل بل قد تتطور اللغة إلى شيء آخر يعود بها إلى التدهور والانحطاط، تفقد فيه جملة من خصائصها الفنية أو الصوتية أو الجمالية، وتنسلخ فجأة عن ملامحها الذاتية وتستبدلها بما هو أدنى قيمة لغوية.

وقد تزدهر ازدهاراً يفوق حد التصور إذا كانت بسبيل من حماية أصالتها كما هي الحال في اللغة العربية إذ يحرسها القرآن العظيم.

لكنَّ هذا التطوُّر غير وارد في اللغة العربيَّة، فمن أهم خصائص العربيَّة ثبات أصوات الحروف فيها، لأنَّ جوهر الصوت العربي بقي واضحاً، وهو ما يتمثل في قراءة القرآن الكريم وإخراج الحروف الصامتة إخراجاً يكاد يكون واحداً أن اللغة العربية تستمد أصولها من القرآن، بل تبقى أصولها ثابتة في القرآن، وأولويات هذه الأصول هي الأصوات لأن الأصوات أصل اللغات، ولّما كان

القرآن الكريم هو القاعدة الصلبة للنطق العربيِّ الصحيح لجملة أصوات اللغة، ولاسيما الضاد والظاء أو الحاء والهاء، في التمرس عليهما والتفريق الدقيق بينهما.

الخلاصة:

مصدر له، يكون شيئا يتعلَّق به أو جسما يقوم به، فالاهتزازات التي تصدر عنها الذبذبات الصوتيَّة يمكن أنْ تحدث إمَّا عند التقاء الشيئين، أو عند ابتعادهما.

وممَّا يتعلَّق بالبحث الصوتيِّ في جهود العلماء العرب المسلمين هو كلام الله تبارك وتعالى فإنَّه جلَّ وعلا يتكلَّم بحرف وصوت، والصَّوْتُ الَّذي يَتَكَلَّمُ اللهُ جلَّ وعلا به لا مِثْلَ لَهُ، فلا يُمَاثِلُ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَكَلامُ اللهِ هُوَ كَلامُهُ بِنَظْمِهِ وَنَثْرِهِ وَمَعَانِيهِ.

وحدوث الصوت الإنسانيِّ يكون نتيجة للذبذبات التي تصدر من الحنجرة، التي فيها الوتران الصوتيَّان، وهما اللذان يؤثِّران في اختلاف شدَّة الصوت من شخص لآخر.

كما اهتمَّ الدرس الصوتيّ الحديث بوصف الجهاز الصوتيّ، وبيان وظيفته فبيَّنوا أنَّ العناصر المكوِّنة للصوت هي: الهواء إلى الخارج، والنطق في الفم، وتذبذب في منطقة الحنجرة، والرنين الأنفي.

كلَّ صوت لغويٍّ له مخرج، وصفات، ولا ينفكُّ عنهما البتَّة؛ لأنَّه من غيرهما لا يكون، وبهما يتميَّز عن غيره من الأصوات، ويحصل عليهما بسببين هما: اختلاف نقطة التحكم في مجرى الهواء، أو اختلاف حال التموُّج وغيرهما:

الوسط الناقل للصوت يتمثَّل بالمادَّة التي ينتقل خلالها الصوت، فالحيوانات البحريَّة مثلا ينتقل صوتها عبر الماء –الوسط السائل– وكذلك سماعنا أنواع

الأصوات عن بعد فذلك يحدث لأنَّ الذبذبات الصوتيَّة تنتقل بوساطة الهواء -الوسط الغازي- أو الاتصال بيننا هاتفيا الذي يحدث لأن الذبذبات الصوتية يمكن أن تنتقل من خلال السلك -الوسط الصلبي.

وتكون العمليَّة السمعيَّة باستعمال جهاز الاستقبال وهو الأذنين، ويتعلَّق بالسمع ثلاثة أمور: إدراك الصوت، ومعرفة المعنى مع إدراك الصوت، والقبول والاستجابة مع الفهم.